

شارون مطمئن

على الرغم من أن اثنين لا يختلفان على حجم الضرر الكبير الذي من بمصادقية الرئيس بوش، في أعقاب رفض الليكود خطة «فك الارتباط»، إلا أن بوش لن يمارس ضغطاً جدياً على شارون لتجاهل نتائج الاستفتاء. ففي غضون ستة أشهر ستجرى الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وبوش لا زال يتذكر الدرس الذي تعلمه من والده، عندما حاول الضغط على (إسرائيل) بعد انتهاء حرب الخليج الأولى، فما كان من جماعات الضغط اليهودية إلا أن عملت على إسقاطه والقضاء نهائياً على فرص فوزه بولاية ثانية. بوش يؤمن أنه ليس من الحكمة المجازفة بممارسة أي نوع من الضغط على شارون. في الوقت نفسه فإن قادة اليمين المسيحي الذين يعتبرون الجمهور التقليدي للحزب الجمهوري الذي يتزعمه بوش، يذكرونه دوماً أن عليه ألا يمارس أي ضغط على (إسرائيل) لإجبارها على القيام بأية خطوة تشكل تهديداً على وجودها، مع العلم أن ممثلي اليمين المسيحي يتجاوزون متطري حزب الليكود من حيث مواقفهم المعادية للعرب والفلسطينيين. من هنا فإن شارون وبوش سيجدان مخرجاً في تقديم خطة «فك ارتباط مقلص». وإن كان الرئيس بوش قد حاول تسويق شارون بوصفه «رجل سلام»، فإنه لن يتردد في تسويق أي خطة بديلة عن خطة «فك الارتباط».

تقليص «فك الارتباط»

منذ أن تولى شارون مقاليد الحكم لأول مرة في العام ٢٠٠١، حرص على الزعم أنه السياسي الإسرائيلي الوحيد القادر على قيادة (إسرائيل) إلى تسوية سياسية تاريخية مع الفلسطينيين وبقية الأطراف العربية. النخب الثقافية الإسرائيلية لم تتبنّ تسويق شعار شارون هذا فحسب، بل إنها استندت إلى ما اعتبرته «قاعدة ذهبية» تقول: إن حكومة بقيادة اليمين فقط بإمكانها أن تقود الإسرائيليين إلى تسوية سياسية. نتائج الاستفتاء تثبت بطلان هذه القاعدة، فشارون فشل داخل ملعبه في تمرير خطة «فك الارتباط»، التي تحظى بتأييد معظم الإسرائيليين كما تؤكد ذلك جميع استطلاعات الرأي العام. شارون خرج بعد الاستفتاء مهزوماً صاعراً مهاناً، الكثيرون توقعوا أن يستخلص العبر اللازمة وأن يعلن استقالته. لكن شارون الذي كان يوصف بأنه أقوى رئيس وزراء إسرائيلي بعد ديفيد بن غوريون، أصبح بعد الاستفتاء بدون خيارات توفر له هامش مناورة سياسية حقيقياً. وكما قال نجله النائب عومري شارون، فقد كان شارون يريد أن يكون تنفيذ خطة «فك الارتباط» البداية لتجسيد رؤيته لحل الصراع مع الشعب الفلسطيني. نتائج الاستفتاء أثبتت أنه لا يمكن الوثوق بشارون حتى بعد أن تجند القطب الأوحده في العالم من أجل مساعدته على تثبيت خطة صيغت خصيصاً لإملاء تصور اليمين الإسرائيلي لحل الصراع. بخلاف كل السيناريوهات التي رسمت

بعيد الإعلان عن النتائج لا يرغب شارون في خوض غمار معركة انتخابية جديدة لإعادة رسم الخارطة الحزبية الإسرائيلية بشكل يسمح له تطبيق خطة «فك الارتباط».

شارون يعي، بعد نتائج الاستفتاء، الحرج الشديد الذي أصاب الإدارة الأمريكية والرئيس بوش شخصياً الذي طالب العالم بتقديم الشكر لشارون على خطته المثيرة للجدل. فقد كان المتوقع -أمريكياً- من شارون على الأقل أن ينفذ خطة «فك الارتباط»، التي على أساسها قدم بوش رسالة الضمانات غير المسبوقة لشارون، والتي تضمن لـ(إسرائيل) حسم الكثير من قضايا الحل الدائم في أي تسوية مستقبلية مع الجانب الفلسطيني من طرف واحد.

يدرك شارون أيضاً أن عليه أن يقدم إجابات لبوش بصدد تداعيات استفتاء الليكود. وفي خطوة احترازية أكد مقربو شارون أنه سي طرح على بوش تقديم خطة بديلة تقوم على «فك ارتباط مقلص»، فبدلاً من تفكيك جميع مستوطنات قطاع غزة، فإن شارون سي طرح إمكانية تفكيك المستوطنات الثلاث في القطاع، وهي: «نيتساريم» و«كفار دروم» و«موراج»، وفي شمال الضفة الغربية يتم إخلاء عدد مماثل من المستوطنات. لكن فرص نجاح شارون في تمرير حتى هذه الخطة المقلصة محدودة، فمعارضو خطة «فك الارتباط» في حزب الليكود يقولون أن نتائج الاستفتاء تلزم شارون بعدم «تحريك حاوية قمامة» في أي مستوطنة من مكانها، فما بالك بتفكيك عدد من المستوطنات مهما كان صغيراً. ■

